مـدخل لعلـم الاجتمـاع:
محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى علوم سياسية 2023/2022
د.عقبوبي مولود .

ماهية علم الاجتماع... ما الذي يقوم بـه عالم الاجتماع؟
لمـــاذا ندرس علم الاجتماع؟
نشـــأة علـــم الاجتماع
سيـاق الأحـــداث
السيـاق الأيديولوجـي
الـــمـؤسســـون
أوغست كـونت (1798-1857)
أليكسيس دو توكفيل (1805-1859)
كـــارل ماركس (1818-1883)
ايميل دوركايم (1858-1917)
ماكس فيبر(1864-1920)

ماهية علم الاجتماع... ما الذي يقوم به عالم الاجتماع؟

إذا ما حاولنا تقديم تعريف مبسط لعلم الاجتماع، فبالإمكان القول أنه "علم دراسـة المجتمع". إنه تعريف على بساطته يحتاج إلى تعريف له. مشكلة هذا التعريف أنه يحتاج إلى تعاريف أخرى تحدد ماهية المجتمع وما الذي نعنيه بالدراسة "السوسيولوجية" للمجتمع. نفس الأمر يمكن أن يقال على تعاريف أخرى لعلم الاجتماع، مثل: علم الاجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية، السلوكات الاجتماعية، التفاعلات الاجتماعية، الحياة في المجتمع، .....إلخ.

علم الاجتماع وبقية العلوم الاجتماعية (الاقتصاد، علم السياسة، الأنثروبولوجيا، علم النفس...) يشتركون في موضوع واحد للدراسة والبحث، والذي هو المجتمع والإنسان. لكن ما يميز علم الاجتماع عن بقية العلوم الاجتماعية هو مقاربته وطريقة تناوله لموضوع الدراسة هذا. إنـه يأخذ من كل العلوم الاجتماعية قصد تكوين تصور ورؤية شاملين حول ما يدرس.

إن الباحث في علم الاقتصاد يدرس الاقتصاد (جزء) في المجتمع (الكل)، والباحث في علم السياسة يدرس السياسة (الجزء) في المجتمع (الكل)، أما الأنثروبولوجي فيدرس الثقافة (الجزء) في المجتمع (الكل)، وعلى نفس المنوال يقوم عالم النفس، عالم التربية والمؤرخ بدراسة أجزاء معينة (شخصية الإنسان، التربية والمدرسة، الأحداث والوقائع الماضية) من الكل الذي هو المجتمع والحياة الاجتماعية. الباحث في علم الاجتماع -وعلى خلاف البقية- موضوع دراسته هو الكُـل أي المجتمع. إذن فمجال الدراسة لديه يشمل: الاقتصادي والسياسي والثقافي والنفسي والتربوي والتاريخي...الخ، أي يشمل كل ما يحصل في المجتمع.

علم الاجتماع كمشروع معرفي هو مشروع مذهل وشديد التعقيد، كون أن موضوعه الأساسي هو سلوكاتنا وأفعالنا ككائنات اجتماعية. ومن هنا فإن نطاق القابل للدراسة فيه يتسم بالاتساع الكبير والتنوع، إذ يبدأ من تفاصيل حياتنا اليومية (الأحاديث واللقاءات العابرة بين الناس) إلى أن يصل لدراسة الآليات الاجتماعية العالمية (العولمـة وحوار الثقافات).

إن معطيات حياتنا اليومية في المجتمع تتأثر تأثرا كبيرا بوقائع اقتصادية سياسية ثقافية نفسية وتاريخية. لذا فإن فهم هذه المعطيات الحياتية الخاصة بكل من الأفراد والجماعات، لا بد وأن يمر عبر فهم وتحليل للسياقات الكبرى (الاقتصادية، التاريخية، السياسية، الثقافية، الدينية...) التي تجري داخل المجتمع. هذا هو جوهر الدراسة السوسيولوجية.

التفكير بطريقة سوسيولوجية، هو تبني لمقاربة تتسم بالاتساع والشمولية, نظرة تتضمن كافة أبعاد الواقع الاجتماعي. على عالم الاجتماع أن يكون قادرا على التحرر من الظروف الشخصية و أن يضع الأمور في سياق أوسع. إنه ارتقاء من نظرة شخصية تنظر في نفس الاتجاه ومن زاوية واحدة، إلى نظرة أوسع تشمل كل اتجاهات وزوايا الظاهرة المدروسة. إن التفكير السوسيولوجي في جانب كبير منه يعتمد على إعمال "الخيال السوسيولوجي".

الخيال السوسيولوجي يتطلب في المقام الأول أن ننأى بأنفسنا عن المجريات الروتينية، ليتسنى لنا إلقاء نظرة جديدة عليها. البطالة مثلا لها أبعاد عدة. بعد اقتصادي مرتبط بقانون العرض والطلب في سوق العمل. بعد سياسي يتمثل في سياسات التشغيل (خلق مناصب شغل) لدى الحكومة والأحزاب السياسية. بعد اجتماعي خاص بآليات التضامن والتعاون الاجتماعيين للحد من الآثار السلبية للبطالة. بعد نفسي يتعلق بالآثار النفسية للبطالة على الشخص الذي يعاني منها. بعد ثقافي حول ما يمثله العمل في ثقافة المجتمع ...الخ.

فهم واقع البطالة لن يتحقق إلا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كافة هذه الأبعاد.

الجدول التالي يحوي قائمة -غير مكتملة- لبعض فروع علم الاجتماع ومجالات الدراسة فيه. النظرة الأولى على الجدول تبين التنوع الواضح في الدراسات السوسيولوجية. يرجع ذلك إلى التنوع الذي يميز واقع المجتمعات، فهي تشتمل على الاقتصادي، السياسي، الثقافي، الديني، التربوي....إلخ

حـول العمـل/الاقتصاد	
علم اجتماع العلاقات الصناعية	علم اجتماع المهن
علم اجتماع العمل	علم اجتماع الجمعيات والنقابات
علم اجتماع المنظمات	علم اجتماع المؤسسة
علم اجتماع البطالة	علم الاجتماع الاقتصادي
حـول العلاقة فرد/مجتمع	
علم اجتماع الفرد	علم اجتماع الطبقات الاجتماعية
علم اجتماع التغير الاجتماعي	علم اجتماع العائلة
علم اجتماع الجندر (النوع= النساء/الرجال)	علم اجتماع الهوية
علم النفس الاجتماعي	علم اجتماع التنشئة الاجتماعية
حـول طـرق العيـش	
علم الاجتماع الحضري	علم الاجتماع الريفي
علم اجتماع الفقر والتهميش	علم اجتماع الاستهلاك
علم اجتماع الثقافة	علم اجتماع الفن
علم اجتماع الرياضة	علم اجتماع الإعلام والاتصال
علم اجتماع الحياة اليومية	علم اجتماع التربية والمدرسة
حـول الأفكار والمعتقدات	
علم اجتماع الديانات	علم اجتماع القيم
علم اجتماع المعرفة	علم اجتماع الفرق الدينية
حـول المـواطنـة	
علم اجتماع السياسة	علم اجتماع الانتخابات

لماذا ندرس علم الاجتماع؟

لأن علم الاجتماع يهتم بدراسة ظواهر نابعة من الواقع الاجتماعي المعاش (الانحراف، التهميش، العمل، الفساد، العائلة، العنف، الاستهلاك...)، يتشكل لدينا انطباع بقرب هذا العلم ومواضيعه من حياتنا. إلا أنه يجب التأكيد على أن الفهم الموضوعي والدقيق لهذا الواقع الاجتماعي لا يمكن أن يتم دون معرفة سابقة بماهية علم الاجتماع من ناحية موضوعه ومنهجه ورواده وطرق ممارسته.

إن علم الاجتماع بطبيعته مصدر للتنوير يعود علينا بثلاث فوائد على الأقل:

1. زيادة معارفنا بالعالم الذي نعيش فيه، عبر صياغة أحكام ومواقف موضوعية أكثر. فمجرد الانتماء إلى مجتمع ما لا يكف لمعرفته. علم الاجتماع بتجاوزه للمسلمات واختراقه للظاهر من الواقع الاجتماعي وبكشفه عن المسكوت عنه وخرقه للطابوهات، من شأنه أن يساهم في تشكيل رؤية نقدية لدينا حول العالم والمجتمع اللذين نعيش فيهما.
2. التنوير الذاتي، بزيادة معرفتنا بذواتنا وتعميق فهمنا لأنفسنا. فكلما زادت معرفتنا بالبواعث الكامنة وراء أفعالنا وخياراتنا وتعمق فهمنا لأساليب عمل المجتمع الذي نعيش فيه، تعززت مقدرتنا على التحكم والتأثير في مستقبلنا.
3. تنوير من في أيديهم السلطة (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية، الثقافية...) ومساعدتهم على طرح الأسئلة المناسبة واختيار المقاربات الناجعة في تسييرهم لشؤون المجتمع. فالسياسات والخطط التي لا تنطلق من وعي مباشر بمسارات حياة الناس الذين تستهدفهم لا تتوفر على أي فرصة للنجاح.

نشأة علم الاجتماع:

خلال القرنين 18 و19، وفي سياق تميز بتحولات اقتصادية سياسية واجتماعية عميقة، كان لمفكرين أمثال: أوجست كونت *Auguste Comte* (1798-1857)، أليكسيس دو توكفيل *Alexis de Tocqueville* (1805-1859)، كارل ماركس *Karl Marx* (1818-1883)، إميل دوركايم *Emile Durkheim* (1858-1917) وماكس فيبر *Max Weber* (1864-1920) أن انشغلوا بطبيعة المجتمع الناشئ. ليكونوا بهذا قد وضعوا أسس تساؤل سوسيولوجي يتجاوز مرحلة التفكير الاجتماعي الأخلاقي التي سادت الفكر الفلسفي الإغريقي الإسلامي والآسيوي، إلى تفكير أكثر علمية وموضوعية في أسباب ونتائج الظواهر الاجتماعية.

سيـــاق خاص:

إن كان الأمر يتعلق بسياق الأحداث أو بالسياق الأيديولوجي، فلقد عرفت فرنسا وأهم البلدان الأوربية (ألمانيا وانجلترا) في القرن 18 وبالخصوص في القرن 19 تغيرات عميقة. إنه واقع جديد زعزع دعائم النظام الاجتماعي القديم ومهّد لظهور إشكالية سوسيولوجية خاصة، تتعلق بقضايا الرباط الاجتماعي (التضامن الاجتماعي) وعوامل التغير الاجتماعي.

أ. سياق الأحداث:

عادة ما يقال عن علم الاجتماع أنه "وليد الثورات". المقصود بالثورات في هذا الإطار هو الثورة الفرنسية على الصعيد السياسي والثورة الصناعية على الصعيد الاقتصادي. فبإعادتهما صياغة النظام الاجتماعي القديم أفرزتا رهانات جديدة متعلقة بالمجتمع الجديد قيد البناء، وكذا العديد من المخاوف الناجمة عن انتشار العديد من المشكلات الاجتماعية الملحة مثل البطالة، الاكتظاظ، الدعارة، الإدمان على الكحول، البؤس الحضري، العنف...الخ.

- على الصعيد السياسي: الثورة الفرنسية (1789) وعبر الأفكار التي سوقت لها، والمبادئ التي نادت بها، وعبر الإصلاحات التي نفذتها، تكون قد دمرت بعض العقائد والمبادئ وكذا التوازنات السياسية والاجتماعية التي كان يقوم عليها النظام الاجتماعي القديم.

  مثال: وقف العمل بالقانون الإقطاعي، إقرار بيان حقوق الإنسان والمواطن، مفهوم المواطنة، ظهور تشكيلة اجتماعية جديدة أكثر ليونة/ميوعة، أصلا قانون الأسرة (قانون 1792 الذي يجعل من الزواج عقد مدني) ما أوجد أشكال عائلية جديدة.

- على الصعيد الاقتصادي: الثورة الصناعة ولدت الرأسمالية الحديثة، التي بإرسائها لقواعد نظام إنتاج جديد أحدثت تحولات عميقة في النسيج الاجتماعي ومكوناته. بعض هذه التحولات قادت إلى اختلالات اجتماعية أعطت أهمية كبيرة لما صار يسمى "المسألة الاجتماعية". المسألة الاجتماعية مصطلح ظهر نهاية القرن 19 ويحيل إلى المشاكل والنزاعات الحاصلة في المجتمع الصناعي الجديد.

  مثال: تزايد عدد المدن الصناعية (مانشيستر، ليون...) وعُدّتها من البؤس الفقر والمساكن الرديئة. مثال آخر: تحول شرائح عريضة من أفراد المجتمع إلى عمال كادحين. فمع ظهور

المصانع وانتشار الآلات، عمّ العمل بالأجر، ما أنتج طبقة اجتماعية جديدة: طبقة العمل، التي تعرف تدهورا لأوضاعها المعيشية والمهنية.

في المحصلة، يمكن الجزم أن نتائج الثورتين الفرنسية والصناعية شكلتا قطيعة واضحة مع الوضع السابق. لقد أعلنتا نهاية المجتمع التقليدي المؤسس على العائلة، الأرض، المجموعة القروية والكنيسة. فكان لنظام اجتماعي جديد أن يتأسس، ولنماذج جديدة من التضامن الاجتماعي أن تظهر، ولمفهوم جديد للعيش المشترك أن يُفكر فيه. هذه هي الأهداف التي حددها رواد ومؤسسي علم الاجتماع وسعوا إلى بلوغها.

ب. السياق الأيديولوجي:

على المستوى الفكري، امتاز القرنان 18 و19 بارتقاء مكانة العقل والاحتكام إليه من جهة، وبهيمنة بعض الأفكار السياسية من جهة أخرى.

المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع تؤثروا إلى حد بعيد ببعض هذه الأفكار، الأمر الذي سيظهر في أعمالهم وينعكس على تصورهم للعلم الجديد.

- ارتقاء مكانة العقل: القرن 18 يعتبر قرن الأنوار. من بين فلاسفة الأنوار نجد: فولتير *Voltaire*، روسو *Rousseau*، مونتيسكيو *Montesquieu*، كانط *Kant*... هؤلاء المفكرين وضعوا العقل فوق كل شيء، أوكلوا له سلطة مطلقة تتجاوز حتى سلطة المقدس (سلطة رجال الدين والكتب المقدسة). بالنسبة لهم الإنسان يجب أن يكون مركز المعرفة ومصدرها، كما تظهره مقولة كانط "فلتكن لديك الشجاعة والجرأة لتستخدم فكـــرك".

هذا التوجه العقلاني أنتج في المجتمعات الأوربية انجذابا قويا نحو العلم والمعرفة. ليكون عصر التنوير مناسبة لظهور العلموية والفلسفة الوضعية.

> العلموية (*Scientisme*) نزعة تقوم على الإيمان بالقوة الكبيرة للعلم وقدرته على حلّ كل مشاكل الإنسانية. هي كذلك اعتقاد فلسفي يؤكد أن العلم يتيح لنا معرفة كلية للأشياء الموجودة في الكون، وهي كافية لتحقيق الطموح الإنساني.
> الوضعية (*Positivisme*) عقيدة فلسفية طورها أوغست كونت والتي تعتبر أن المعرفة الوحيدة (أو السبيل الوحيد للمعرفة) هي ملاحظة الوقائع والتجربة العلمية.

رواد علم الاجتماع الأوائل انظموا إلى هذا الإيمان بالعقل والعلم. فحرصوا على تطبيق المبادئ العقلية للعلوم في تحليلهم للظواهر الاجتماعية.

- تأثير الأفكار السياسية: من كل الأفكار السياسية التي ظهرت ونمت في القرنين 18 و19، يمكن القول أن "الفكر المحافظ" (*Conservatisme*) هو الذي على علاقة أقرب بميلاد علم الاجتماع.

الفكر المحافظ تيار أيديولوجي/سياسي يستنكر الاختلالات الاجتماعية الناتجة عن الثورتين الفرنسية والصناعية. العديد من مؤسسي علم الاجتماع تأثروا بهذه الأيديولوجية (خاصة دروكـايم).

بالعودة إلى تاريخ الأحداث والأفكار يتبين لنا أن علم الاجتماع ظهر في سياق تحولات محفزة على التساؤل السوسيولوجي. إذن ليس صدفة كون أساسات التحليل السوسيولوجي ظهرت خلال القرن 19، وكون المفكرين المعاصرين لهذه التحولات هم من سيضع قواعد علم اجتماعي جديد.

المـؤســســـون:

أ/.. أوغست كونت (1798-1857) *Auguste Comte*:

هو من سمىّ العلم الجديد بعلم الاجتماع، فمن اللغة اللاتينية استمد مفردة *socio* التي تعني المجتمع، ومن اللغة الإغريقية مفردة *logos* أي العلم. فكان علم الاجتماع: علم المجتمع أو علم دراسة المجتمع. أوغست كونت يعد أيضا من أوائل من قال بإمكانية والحاجة لخلق علم اجتماعي جديد (سبقه إلى ذلك عبد الرحمان ابن خلدون 1332-1406).

كونت هو مؤسس " الفلسفة الوضعية". حسب رأيه، كل اكتساب للمعرفة يجب أن يتحقق انطلاقا من ملاحظة للواقع ليتم فيما بعد صياغة مقولات نظرية. ملاحظة الواقع يجب أن تسبق كل اقتراح نظري. ليعارض بذلك أولئك الذين يضعون مقدمات نظرية دون مطابقتها للواقع. حسب كونت علم الاجتماع عليه التحلي بهذا الطابع الوضعي والعلمي،

عليه أن يكون قبل كل شيء علم ملاحظة (*une science de l'observation*). عليه أن يطبق نفس المنهجيات العلمية الصارمة التي تطبقها العلوم الطبيعية: الفيزياء أو الكيمياء.

كونت أوكل لنفسه مهمة إنهاء صياغة العلوم الوضعية (تلك التي تعتمد على الملاحظة والتجربة) وذلك عبر تأسيس آخر وأعقد علم وضعي، وهو ذلك الذي يختص بدراسة الظواهر الاجتماعية، فكان ما أسماه علم الاجتماع، وهي التسمية التي فضلها على تسمية أخرى: الفيزياء الاجتماعية.

إذن بالنسبة لكونت علم الاجتماع يمثل العلم الذي يختم تطور ومسار العلوم الوضعية. هذا العلم الجديد برأيه ينقسم إلى حقلين كبيرين للدراسة:

- الستاتيكا الاجتماعية (الثبات الاجتماعي): دراسة محددات وعوامل النظام و التماسك الاجتماعي.
- الديناميكا الاجتماعية (التغير الاجتماعي): دراسة تطور الإنسانية والقوانين التي تسير نمو المجتمع الإنساني وتحكم تغيره.

لم يمكّن لكونت من المساهمة في مضمون الستاتيكا الاجتماعية، لكنه في المقابل انصب على دراسة الديناميكا الاجتماعية بحديثه عن قانون المراحل الثلاث التي مر بها التفكير الإنساني:

1. المرحلة اللاهوتية: أين تم اعتبار الظواهر منتجات لأفعال مباشرة لقوى فوق الطبيعة، وأن لا دخل ولا سيطرة للإنسان عليها.
2. المرحلة الميافيزيقية: القوى فوق الطبيعية عوضت بأفكار وتصورات مجردة، مثل: الحرية، المساواة، العقل، الفرد... التي جعلت البشر ينظرون إلى ظواهر المجتمع بشكلها الطبيعي.
3. المرحلة الوضعية: يميزها البحث عن القوانين التي تحكم الظواهر باستعمال التفكير العقلي والتجريب. هذه المرحلة ميزتها الاكتشافات والاختراعات العلمية (نيوتن، كوبرنيك، غاليلي...).

حسب كونت، المرحلة الوضعية هي مرحلة حتمية، نهائية ودائمة. هذه النظرة التطورية للفكر الإنساني ستعرف فيما بعد انتقادات كثيرة. خاصة وأنها تنطبق فقط على وضع التفكير الإنساني في أوربا وليس في العالم كله.

ب/.. أليكسيس دو توكفيل (1805-1859) *Alexis de Tocqueville*:

على الرغم من أن توكفيل عاصر حياة كونت، إلا أن أفكاره ودراساته لم تحض بنفس شهرة أفكار ودراسات الأخير. السبب، دوركايم ا اعتمد على أعمال كونت وليس على أعمال توكفيل.

مُنظّر الديمقراطية:

أمريكا... نموذج المجتمع الديمقراطي:

يعتبر توكفيل قبل كل شيء مفكر الديمقراطية. في كتابه المعنون بـ"حول الديمقراطية في أمريكا"، يتساءل حول الظروف الخفية لاستمرار ونجاح الديمقراطية الليبرالية وفق ما هي عليه في الولايات المتحدة الأمريكية؟

إن المجتمع الأمريكي يمثل بالنسبة إليه النموذج الناجح للديمقراطية، بسبب الأسباب التاريخية (مساحة جغرافية واسعة و "خالية" من كل تنظيم اقتصادي وسياسي)، أسباب ثقافية (النزعة إلى الحرية، النزعة إلى التكاتف والتعاون، روح الجماعة، تجانس في الآراء، حرية صحافة) وأسباب مؤسساتية (لامركزية إدارية للسلطة، النظام الفيدرالي).

الديمقراطية والمساواة:

توكفيل يرى الديمقراطية والمساواة على ارتباط قوي، إذ لا ديمقراطية بدون مساواة. ففي النظام الديمقراطي الناجح حيث لا يتم انتقال المكانات والأدوار الاجتماعية وراثيا (كل المكانات والأدوار الاجتماعية متاحة للجميع)، المساواة الاجتماعية هي القاعدة. بمعنى أخر، وفي غياب حدود مانعة بين الطبقات الاجتماعية الحراك الاجتماعي ممكن.

> الحراك الاجتماعي (*Mobilité sociale*): انتقال الفرد أو الجماعة من طبقة أو من مستوى اجتماعي اقتصادي معينين إلى طبقة أو مستوى اجتماعي اقتصادي آخرين، بحيث يرتبط بهذا الانتقال تغير في مستوى المكانة الدور والدخل، وقد يكون هذا الانتقال إلى أعلى أو إلى أسفل.

في المحصلة، هذه "السيولة" الاجتماعية تكرس تساوٍ في ظروف العيش، أي عملية تسوية لمعدلات الدخل وطرق العيش.

أخطار الديمقراطية:

توكفيل بوصفه ملاحظ ناقد للأنظمة السياسية يرى بأن الديمقراطية على الرغم من إيجابياتها ليست نظاما كاملا. لذا فهو يحذر من أربع أخطـار تتضمنها:

- الفردانية: على اعتبار المساواة تجعل الناس متساوين أمام بعضهم البعض دون رباط مشترك يجمعهم، فإن هذا من شأنه أن يشجع البعض منهم على تبني سلوكات أنانية (فردانية)، تعم الجميع فيما بعد، ما يعتبر خطرا على الجسم الاجتماعي وعلى تماسكه.
- الفوضى: لما لا توضع حدود لحريات الناس، يمكن أن يؤدي ممارستهم لها إلى الفوضى والتعدي على حريات الآخرين.
- الاستبداد الديمقراطي: في المجتمعات الديمقراطية، الشعب يختار ممثلين له مهمتهم ممارسة السلطة السياسية. هذا المبدأ في الديمقراطية التمثيلية يمكن أن يحول الناس بعد مدة معينة إلى مواطنين غير فاعلين (الامتناع عن الانتخاب) وجعلهم في موقف يشبه موقف العبيد.
- استبداد الأغلبية: لما يكون مبدأ الأغلبية هو من يحدد قواعد عمل الديمقراطيات، فـإن "الرأي العام" هو من يقود العالم، هكذا ونتيجة العودة دائما إلى الرأي العام نكون قد فقدنا جزءا من هويتنا الشخصية لصالح سلوكات ومواقف مطابقة لسلوكات ومواقف الأغلبية. بإمكان الأغلبية على هذا النحو أن تسحق الأقلية وتقلل من مساحة الحرية الشخصية.

جـ/.. كارل ماركس (1818-1883) *Karl Marx*

كارل ماركس يعتبر في نفس الوقت: فيلسوفا، رجل سياسة، عالم اقتصاد، عالم اجتماع، مؤرخ ومفكر. ومن غير الممكن حصره في ميدان علمي واحد. لذا فليس مشروعا لنا اعتباره فقط عالم اجتماع، لكن يمكننا التأكيد على أنه بفكره وأعماله كان أحد المساهمين الأساسيين في نشـأة علم الاجتماع.

ماركس عايش ميلاد المجتمع الرأسمالي، شهد نمو المصانع وتوسع الإنتاج وما نجم عن كليهما من مظاهر التفاوت وعدم المساواة. ماركس يرى أن هناك عنصرين جديدين/أساسيين أتى بهما نظام الإنتاج الرأسمالي:

- أولا: رأس المال *(le capital)* وهو مجموع الأصول والموجودات -بما فيها المال والمعدات وحتى المصانع- التي يجري استخدامها أو استثمارها لإنتاج أصول جديدة في المستقبل، ويسمي هذه العملية "تراكم رأس المال". رأس المال في النظام الرأسمالي هو في يد فئة قليلة يسميهم ماركس بالرأسماليين والذين ينتمون اجتماعيا لطبقة البرجوازية.
- ثانيا: العمل بأجر *(le salariat)* ويشير إلى قطاع العمال الذين لا يملكون، لا وسائل الإنتاج ولا وسائل العيش، يملكون فقط قوة عملهم، لذا فهم مضطرون إلى أن يطلبوا الاستخدام من أرباب رأس المال (الرأسماليين/البرجوازيين) مقابل أجـر. العمال يشكلون غالبية أفراد المجتمع، ولأنهم يشتركون في طريقة الكسب (الأجر وليس الملكية) ولديهم نفس المصالح فهم يعتبرون الطبقة الثانية التي يتكون منها المجتمع: طبقة العمال أو البروليتاريا.

القول بالحتمية المـادية / الاقتصادية:

بالنسبة لماركس كل مجتمع يتكون من عنصرين أو بنيتين: "بنية تحتية/مادية/اقتصادية" من جهة، وبنية "فوقية/لامادية/اجتماعية" من جهة أخرى.

البنية التحتية تجمع القواعد التقنية والاقتصادية للمجتمع، والبنية الفوقية تشمل على النظام والمؤسسات السياسية الاجتماعية القانونية الفلسفية الثقافية الشفوية والدينية للمجتمع.

في منظومة الفهم والتحليل الماركسية، البنية التحتية (النظام الاقتصادي، نظام الإنتاج، نمط ملكية رأس المال) هي من تـحدد البنية الفوقية (نوع النظام السياسي والاجتماعي، نوع الثقافة والأفكار والمعتقدات والمواقف). بعبارة أخرى المجال الاقتصادي يحتل مكانة مركزية في فهم الظواهر السياسية الإنسانية والاجتماعية.

مقولات ماركسية

- من يملك يسيطر. من يملك رأس المال (المال، المصنع، الآلات...) يسيطر ويتحكم في من لا يملكه. هي سيطرة لا تقتصر فقط على المجال الاقتصادي/المادي بل تتجاوزه إلى سيطرة اجتماعية سياسية ثقافية وأيديولوجية.

- فكر الطبقة المسيطرة هو في كل الأزمان الفكر المسيطر في العالـم.
- في الأسرة، الرجل يلعب دور البرجوازي والمرأة دور البروليتـاري.
- هناك طريقة واحدة فقط لقتل الرأسمالية، الضرائب ثم الضرائب ولا شيء غير الضرائب.
- الأفكار ما هي إلا أشياء مادية منقولة ومترجمة في عقل الإنسان.
- ليس وعي الناس هو من يحدد وجودهم، بل إن طبيعة وجودهم هي من تحدد نوع وعيهم.
- إنتاج الأفكار والتمثلات مرتبط أساسا بالنشاطات والتبادلات المادية بين البشر. إنها لغـة الحياة الواقعية.
- الملكية الخاصة جعلت منا أغبياءً ومحدودي العقل، إلى حد اعتقادنا بأننا لا نحوز الأشياء إلا إذا ملكناها.

الطبقات الاجتماعية في صلب التحليل:

تحليلات ماركس انصبت على دراسة المجتمعات الطبقية (خاصة على المجتمعات الرأسمالية)، التي تنفرد بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. بالنسبة له المواجهة بين الطبقات الاجتماعية (الصراع الطبقي) يعتبر محرك أساسي للتاريخ، إذن للتغير الاجتماعي.

التعارض بين الطبقات الاجتماعية هو أحد الخصائص الأساسية للمجتمع الرأسمالي. ماركس يفرق بين طبقتين اجتماعيتين: طبقة الرأسماليين (البرجوازية) وطبقة العمال (البروليتاريا). هاتان الطبقان تدافعان عن مصالح متعارضة، لكي تحافظ كل واحدة على مصالحها وتحميها أو تثمنها فهي مجبرة على الدخول في مواجهة صراعية مع الطبقة الأخرى. هذا الصراع الطبقي يؤدي حسب ماركس إلى ثـورة تكرس ديكتاتورية وحكم البروليتاريا أو المجتمع الاشتراكي، الذي وبعد مدة يترك المجال لمجتمع بدون طبقات: المجتمع الشيوعي.

من ما سبق، واضح جدا المكانة المركزية التي يوليها ماركس للصراعات الاجتماعية. إنـها عامل تغيير وتجديد اجتماعيين وليست مؤشر فوضى اجتماعية (كما يرى دوركايم).

الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج تميز المجتمع الذي ينقسم بين من هم ملاك للوسائل المستعملة في تصنيع السلع والخدمات (الرأسماليين في النظام الرأسمالي)، وبين من لا يملكون لا الآلات ولا المصانع ولا الأموال، يملكون فقط قوة العمل التي يبيعونها للأوائل (الرأسماليين) مقابل اجر، إنهم العمال.

فيلسوف اجتماعي فرنسي ومن كبار مؤسسي علم الاجتماع في فرنسا، ولد من أسرة يهودية، ضمت كثيراً من الأحبار الربانيين، درس الفلسفة والنظرية السياسية في باريس، وعلم أصول التعليم والعلم الاجتماعي في جامعة بوردو، وصار، في ما بعد، أستاذاً في جامعة السوربون([1])، وقد اعتبر أن مهمته تتمثل في إطلاق علم جديد للمجتمع هو السوسيولوجيا.

نظرية دوركايم الاجتماعية ومنهجه

تقوم نظرية دوركايم الاجتماعية على رفض فكرة أن "الفرد" هو الوحدة الأولية للمجتمع، وتؤكد بأن المجتمع سابق في وجوده على الفرد (أي ان وعى الأفراد بوجودهم وخصائصهم نابع من الجماعة وخصائصها) وعلى ذلك فقد رفض دوركايم فكرة أن العوامل الاجتماعية الجماعية يمكن أن تكون – أو أن تفسرها- عوامل نفسية)أي فردية

"كانت فكرة دوركهايم الأساسية تفيد أن المجتمع يقوم على القوى التي تربط الناس ببعضهم، فعندما يضعف التماسك الاجتماعي يمرض المجتمع، لذا علينا ان نجد العلاج الصحيح لاستعادة ذلك التماسك الاجتماعي الحيوي، فالسوسيولوجيا عند دوركهايم هي علم ذلك التماسك، أي: أساسه، وكيف يضعف، وكيف يمكن تقويته، وقد اعتقد دوركهايم أن فرنسا في زمنه كانت مجتمعاً ضعيف التماسك، أي إنها كانت مجتمعاً مريضاً"

في كتابه الهام :الأشكال الأولية للحياة الدينية (1912) ميز دوركايم بين ما هو "مقدس" وما هو دنيوى وقال أن "الضمير الجماعي" ينتج أساساً من امتزاج ما هو مقدس بما هو دنيوي لأداء الوظيفة الاجتماعية المحددة لكل منهما.

"هاجم دوركايم فكرة مونتسيكو عن أن المجتمع يتكون نتيجة "تعاقد" أو : "عقد اجتماعي افتراضي "بين الأفراد، وقال إن شروط هذا العقد كامنة في نسيج سياق أوسع بكثير يتشكل من: "المفاهيم والتصورات الأخلاقية" تؤدي إلى : "التضامن الاجتماعي"

رأى (دوركايم) أن النظام الاجتماعي، في المجتمعات الأوروبية، وقد قَلَبَته التغييرات الاقتصادية رأساً على عقب، لا يستطيع بعد أن يقوم بدور تنظيمي، مما أدى إلى ما نراه من فوضى في هذه المجتمعات، وهذه الفوضى أو عدم وجود قانون يحكم المجتمع هي السبب في أنواع النزاع الدائم المتجدد ومختلف أنواع الاضطرابات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية، وفكرة انعدام القانون هذه هي مفتاح الأبحاث الأولى التي قام بها دوركايم"

وعند دوركايم "أن كل مجتمع يقوم على الأفكار الجماعية المتفق عليها إتفاقاً مشتركاً، ويعني العلم بالوقائع الاجتماعية والأفكار الجماعية (القانون والأخلاقيات، والدين والعاطفة، والعادة، إلخ (التي تفرضها البيئة الاجتماعية على الوعي الإنساني.

كان دوركايم يعزو التطور الاجتماعي إلى ثلاثة عوامل: "كثافة السكان، وتطور وسائل المواصلات، والوعي الاجتماعي، كما كان يعتبر الدين عاملاً هاماً في حياة المجتمع، وأن الدين – إذ يغير أشكاله طبقاً لمرحلة التطور التي بلغها المجتمع – سيبقى ما بقي الإنسان، لأن المجتمع قد ألّه في الدين ذاته، لكن دوركهايم تبنى وجهة نظر لا أدرية (Agnostic)في المسائل الدينية. اما في سياق تحديده للمنهج الذي ينبغي اتباعه، فإن دوركايم في تحديده أو تعريفه لماهية الواقعة الاجتماعية يقول: "تتعرف الواقعة الاجتماعية في قدرتها على ممارسة ضغط خارجي، أو إمكان قيامها بهذا الضغط على الأفراد" وبعد هذا التعريف يقرر ما يلي: "الواقعة الاجتماعية لا يمكن أن تفسّر إلا بواقعة اجتماعية أخرى"، وهذا معناه أنه لا يجوز ردّ الظواهر الاجتماعية إلى وقائع اقتصادية والى أسباب أخرى جزئية، بل يجب تفسيرها على مستوى نسيج الحياة الجماعية

قواعد منهج (دوركايم) في علم الاجتماع:

القاعدة الأولى: استبعاد كل الأفكار السابقة بطريقة تنظيمية، والتخلص من كل البيانات الزائفة التي تسيطر على عقول العامة، وإزاحة نير المقولات التجريبية التي تصير طاغية مستبدة على العقل من طول الألفة والاعتياد.

والقاعدة الثانية: الوقائع الاجتماعية تكون أكثر قابلية للامتثال موضوعياً بقدر ما تكون خالصة تماماً من الوقائع الفردية التي تكشف عنها .

والقاعدة الثالثة: حين يقوم الباحث في علم الاجتماع باستكشاف مجموع معين من الوقائع الاجتماعية فيجب عليه أن ينظر فيها من الجانب الذي تتمثل فيه منعزلة عن تجلياتها الفردية.

ولذلك أكد دوركايم على أهمية تقسيم العمل بما يُمكن المجتمع من أن يصير منسجماً من جديد، فمثل هذا التزايد في تقسيم العمل يؤدي إلى الاختصاص وإلى ظاهرة التفرد.

رأى دوركهايم"أن تقوية معايير الحياة الاقتصادية – الاجتماعية الضرورية للتغلب على ظاهرة انعدام القوانين والمعايير، لا تحدث بالأخلاق، أو بسلطة الدولة، هكذا وببساطة. فلا بد من وجود مؤسسات داخل الدولة تنظم الاقتصاد بطريقة متناغمة. وهنا تدخل مسألة الشركات في الصورة. لقد أراد دوركهايم دولة نقابية واسعة، أي دولة تنظم فيها المنظمات النقابية الاقتصادية بكفاءة وبثقة"

ومثله مثل هيجل، وضع دوركهايم نوعاً من الجواب "الديمقراطي الاجتماعي"، أي إنه عارض التوسع غير المقيد للمذهب الليبرالي المحض والنظرية الماركسية المتعلقة بالتغيرات الجذرية الثورية. وكانت مناقشة دوركهايم موجهة، بمقدار كبير، ضد ما هو مشترك في الليبرالية والاشتراكية والماركسية، أي ضد إرثها السياسي المشترك الذي جاءها من عصر التنوير، أي: أفكار التطور والتحرر والتقدم.

هذه "الأفكار، التي أكدها بقوة منظرون آخرون، حسبها دوركهايم ميولاً خطرة نحو الانحلال. يجب أن يكون المجتمع مستقراً لا ساكناً أو ثابتاً لا يتغير، وشكك دوركهايم بتصورات مثل التطور والتقدم، أي: عندما يطبق مثل هذه المصطلحات على جميع أنواع التغير فإنها تصف، وتحديداً تصف، الانعدام القانوني المدمر بطريقة غير مؤذية. وبرأي دوركهايم علينا أن لا نعمل على "تحرير" أنفسنا من كل شيء، وإنما علينا أن نحاول تحقيق التماسك الاجتماعي الذي هو الشرط الأول لاستقرارنا الاجتماعي وسعادتنا، ومما لا شك فيه أن دوركهايم كان من منظري الانسجام، بينما كان ماركس من منظري الصراع)أي في التاريخ الذي يسبق نشوء المجتمع اللاطبقي الشيوعي)، وبالتالي فمن الوجهة التاريخية ترجع أفكار دوركهايم إلى النظرية السياسية السابقة لعصر النهضة، مثلاً، إلى النظريات السياسية عند أفلاطون وأرسطو اللذين أكدا التوحيد والاستقرار

ماكس فيبر

اشتهر ماكس فيبر بأنه أحد المفكرين الذين انهمكوا في تحليل ظاهرة الحداثة وكيفية نشوئها وتشكلها وسيطرتها على المجتمعات الصناعية المتقدمة .ولذلك فإن أي مثقف معاصر يريد أن يتحدث عن الحداثة مضطر للعودة إلى ما كتبه ماكس فيبر عنها من تنظيرات وأطروحات .

والسؤال الذي كان يطرحه ماكس فيبر هو التالي: لماذا ظهرت الحداثة العلمية والتكنولوجية والبيروقراطية في أوروبا الغربية وأميركا الشمالية فقط؟ بمعنى آخر: لماذا تطورت العقلانية في هذه المنطقة من العامل أكثر مما حصل في سواها؟ نقول ذلك ونحن نعلم أن الحداثة تعني عقلنة العالم: أي دراسة العالم بشكل علمي، موضوعي، عقلاني لا بشكل غيبي، ميتافيزيقي، خرافي .

هنا يكمن الفرق بين مجتمعات الحداثة والمجتمعات التقليدية. فهذه الأخيرة تسيطر عليها الرؤيا القديمة المليئة بالخرافات والمعجزات والأساطير. ثم جاءت الحداثة فتبخرت كل هذه الأساطير والخرافات وبدا العالم على حقيقته المادية والفيزيائية والبيولوجية .

الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر

الفعل الإجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الإجتماع عند ماكس فيبر ولقد عرفه بأنه " صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الإتجاه الداخلي أو الخارجي الذي يكون معبراً عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل ، إنه يكون الفعل عندما يخصص الفرد معنى ذاتياً معيناً لسلوكه، والفعل يصبح إجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطي لهذا الفعل بواسطة الفرد بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجهاً نحو سلوكهم ".

ووفقاً لمنظور فيبر وتعريفه للفعل الإجتماعي لابد من فهم السلوك الاجتماعي أو الظواهر الإجتماعية على مستويين ، المستوى الأول أن نفهم الفعل الإجتماعي على مستوى المعنى للأفراد أنفسهم، أما المستوى الثاني فهو أن نفهم هذا الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي بين جماعات الأفراد .

ولكي نفهم عمل الفرد وأفعاله أو سلوكه الاجتماعي على مستوى المعنى لابد من النظر إلى دوافع الفرد ونواياه وإهتماماته والمعاني الذاتية التي يعطيها لأفعاله والتي لم تكمن خلف سلوكه ، أي أنه لابد من فهم معنى الفعل أو السلوك على المستوى الفردي ومن وجهة نظر الفرد نفسه صاحب هذا السلوك وبنفس الطريقة لابد من النظر إلى النوايا والدوافع والأسباب والإهتمامات التي تكمن وراء سلوك الجماعة التي يعتبر الفرد عضواً فيها . أي أنه لابد من فهم الفعل الإجتماعي على المستوى الجمعي ومن وجهة نظر الفرد كعضو في جماعة .

إذن لابد لنا من أخذ هذين المستويين في الإعتبار عند دراستنا وتحليلنا لفهم وتفسير الفعل الاجتماعي الإنساني للفرد سواء من خلال مواجهته للظواهر الإجتماعية بنفسه أو من خلال مشاركته للجماعات الإجتماعية التي ينتمي إليها .

من هذا يتضح أن فيبر أعطى لمفهوم الفعل الاجتماعي معنى واسعاً كل السعة بوصفه الموضوع الأساسي للبحث السوسيولوجي من وجهة نظره ن فلقد ضمنه كافة أنواع السلوك ما دام الفاعل يخلع عليه معنى .

وهناك خاصيتين في مفهوم فيبر حول الفعل الإجتماعي ففيبر يسلم أولاً وصراحة بمدخل ذاتي لنظرية علم الإجتماع وذلك بتركيزه على أن المفهومات النظرية في علم الإجتماع يتعين صوغها في ضوء نموذج محدد للدافعية التي تحرك) الفاعل الفرضى) والذي يمثل بدوره تصوراً مفترضاً ، أما الخاصية الثانية فتتعلق بمدلول مصطلح " فيبر" عن " المعنى" وهو مصطلح أعتبر من المصطلحات التي لعبت دوراً في الجدل الذي ثار في ألمانيا حول مسألة التاريخ ومناهج العلوم الإجتماعية عشية ظهور أعمال " ماكس فيبر" المهم أنه عندما إستخدم هذا المصطلح كان يعني به الإشارة إلى السلوك في ضوء الفرض والمرمى الذي يسعى إلى تحقيقه الفاعل .

ونظراً لتحديده لعلم الإجتماع بوصفه علماً عاماً وشاملاً للفعل الإجتماعي فإن هذا إقتضاه أن يبذل جهداً في تصنيف الأفعال وتنميطها ويقصد بالعام والشامل من وجهة نظره وكما أوضح " ريمون آرون" من تحليله لأعمال فيبر فهم المعنى الذي يخلعه الإنسان على سلوكه وهذا المعنى الذاتي بالطبع هو المعيار الذي على أساسه يمكن تصنيف الأفعال الإنسانية توطئة لفهم بناء السلوك، إن محاولته لتصنيف الأفعال هذه حكمت تفكيره لدرجة كبيرة عندما هم بتفسير خصائص وأغراض المجتمع المعاصر ووفقاً لما أتى به يعد الرشد والعقلانية خاصة أساسية للعالم الذي نعيش فيه، وتفصح هذه العقلانية عن نفسها من خلال علاقاتها بالأهداف المحددة .المشروع الإقتصادي مثلاً يكون رشيداً عندما تضبط الدولة بواسطة البيروقراطية ، بل إن المجتمع بكامله يتجه نحو التنظيم البيروقراطي ، وحتى العلم نفسه يعد من وجهة نظر فيبر مظهر العملية العقلية التي تميز المجتمع الحديث .

ولقد وضع فيبر تصنيفاً لأنماط الفعل الإجتماعي والتي يمكن الإستعانة بها في بناء النماذج المثالية للسلوك حيث حدد أربعة أنماط للفعل الإجتماعي وفقاً لمساره وإتجاهه على النحو التالي :

-1الفعل العقلي الذي غايات محددة ووسائل واضحة ، إذ أن الفاعل يضع في إعتباره الغاية والوسيلة التي يقوم بتقويمها تقويماً عقلياً فالمهندس الذي يصمم مشروعاً معمارياً والمضارب الذي يحسب ما يعود عليه بسبب مضارباته والقائد الذي يختار أفضل الخطط التي تحقق له النصر كلها أمثلة للفعل الإجتماعي الفعلي .

-2الفعل العقلي الذي توجه قيمة مطلقة : وفي هذا النموذج يكون الفرد واعياً بالقيم المطلقة التي تحكم الفعل وهي قيم يمكن أن تكون أخلاقية أو جمالية أو دينية ويوصف الفعل بأنه موجه نحو قيمة مطلقة في الحالات التي يكون فيها مدفوعاً لتحقيق مطالب غير مشروطة ومعنى ذلك أن الإعتقاد في القيمة المطلقة واعياً ومتجهاً نحوها من أجل ذاتها خالياً من أية مطامح خاصة ، ولهذا فهو يختار الوسائل التي تدعم إيمانه بالقيمة .

-3الفعل العاطفي : وهو سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل والأمثلة على هذا النمط من السلوك عديدة حينما يختار المرء الوسائل على أساس صلتها بالغايات أو القيم وإنما بإعتبارها تنبع من تيار العاطفة .

-4الفعل التقليدي: وهو سلوك تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ومن ثم يعبر عن إستجابات آلية إعتاد عليها الفاعل ، ولا شك أن ضرباً من السلوك هذا شأنه سوف يظل دائماً على هامش الفعل الذي توجهه المعاني .

وتحتل أنماط الفعل الإجتماعي هذه أهمية خاصة في النسق السوسيولوجي الذي صاغه ماكس فيبر ويرجع ذلك إلى عوامل منها :

-1أن فيبر تصور علم الإجتماع باعتباره دراسة شاملة للفعل الإجتماعي ومن ثم أصبح تصنيف أنماط الفعل يمثل أعلى مستويات التصور التي تستخدم في دراسة المجال الإجتماعي والمثال على ذلك أن تصنيفه لنماذج السلطة مشتق مباشرة من تحديده لأنماط الفعل الإجتماعي .

-2أن علم الإجتماع عند فيبر يستهدف فهم معاني السلوك البشري ومن هنا يجئ أهمية هذا التصنيف كمدخل ضروري لتحليل بناء السلوك .

-3وأخيراً فإن تصنيفه لنماذج الفعل يعد إلى حدٍ ما أساس تفسيره للحقبة التاريخية المعاصرة إذ يعتقد فيبر أن الخاصية الأساسية المميزة للعالم الذي يعيش فيه هي العقلانية .

العلاقات الإجتماعية في مفهوم ماكس فيبر

كانت الخطة الثانية ذات الأهمية عند فيبر هي دراسته لمفهوم العلاقات الإجتماعية إذ ساعده دراسة هذا المفهوم على التحول من دراسة الأفعال الفردية إلى أنماط السلوك . ففيبر في تصوره للعلاقات الإجتماعية يقصد بها سلوك جمع من العاملين تتحدد بمضمونات معنى هذا السلوك وبالقدر الذي يضع كل الآخر في حسبانه ويوجه سلوكه في ضوء هذا .

فالعلاقة الإجتماعية عند فيبر تعني تبادل الأفعال بين الأفراد على أساس فهم كل منهم للمعاني التي يضيفها كل فرد على سلوكه ، إذا أن هناك مجرى للفعل لكن ذلك لا يعني بالطبع أن يكون المعنى الذاتي هو نفسه بالنسبة لكل الجماعات التي تتجه إتجاهاً متبادلاً في علاقة إجتماعية معينة ، ولقد قدم فيبر تلخيصاً لفئات العلاقات الإجتماعية والتي يمكن ملاحظتها واقعياً في خمسة فئات هي :

أ- العرف أو الإصلاح أي التماثل الفعلي للعلاقات الإجتماعية .

ب- العادة وهي العرف الذي يستمد وجوده من الألفة والتعود .

جـ- الأسلوب أو العرف الذي يتسم بالتجديد والحداثة .

د- العادة التقليدية وهي العرف الذي ينبثق عن الرغبة في الهيبة الإجتماعية أو العرف الذي يتحدد على أساس أنماط معيارية .

هـ- القانون وهو مجموعة القواعد التي تنطوي على إلزام أو عقاب لمن يخرج عليها ، ومع أن القانون يستند إلى العادة والعرف لكن الفارق بينه وبينهما هو عنصر الإلزام المتضمن في القاعدة القانونية .

ففيبر لا يجعل الفعل معتمداً فقط على العلاقة بين الوسائل والغايات وإنما يربطه بإستمرار بنسق إجتماعي معين وبالظروف التي يتم في ضوئها تحقيق الغايات ومن ثم يذكرنا فيبر بإستمرار أن كل المفاهيم التي يقدمها لا تكفي في ذاتها وإنما لابد وأن يستخدمها علماء الإجتماع في تشييد النماذج المثالية لتفسير مشكلات ملموسة بل والأكثر من ذلك أن هذه النماذج بدورها ليست غاية مطلقة ولكنها وسيلة التفسير والتعليل الصحيح .

النماذج المثالية

تستند دعائم التصور النظري لفيبر على مسألتي النموذج المثالي ونظرية التنظيم وبالنسبة للنموذج المثالي فلقد أشار إلى أن أفضل طريقة في دراسة المعاني الذاتية للظواهر الإجتماعية تتمثل في إستخدام النموذج المثالي وهو ليس فرضاً بل إنه يوجه الباحثين لوضع الفروض وليس وصفاً للواقع بل يستهدف توفير الوسائل للتعبير عن الواقع والنموذج المثالي من وجهة نظر فيبر عبارة عن بناء عقلي من المفاهيم المجردة والذي لا يوجد له نظير في الواقع التجريبي. هذا النمط المثالي لأي ظاهرة إجتماعية يكون مصمماً ليساعد في فهم الواقع التجريبي لتلك الظاهرة أو عدة ظواهر وهكذا يمكن إستخدام النمط المثالي كأداة من أجل المقارنة بين ظاهرتين أو أكثر أو لقياس مدى تقارب الظاهرة المعطاة من النمط المثالي، فالنموذج أو النمط المثالي عبارة عن " المجموع الكلي للمفاهيم التي ينشأها أو يبينها المتخصص في العلوم الإنسانية بصورة نقية وبعيدة عن أي تحيز لتحقيق أهداف البحث .

وعلى نحو ما يقول (تيماشيف، 1972) إن النموذج المثالي ليس فرضاً ، إنه أداة أو وسيلة لتحليل الأحداث التاريخية الملموسة والمواقف ، وهذا التحليل يتطلب بدوره أن تكون المفاهيم محددة بدقة وواضحة إلى أبعد الحدود لكي تستطيع مواجهة النماذج المثالية ، فالنموذج المثالي إذن مفهوم محدود نقارن به المواقف الواقعية في الحياة والأفعال التي ندرسها ويذهب فيبر إلى أن دراسة الواقع الملموس على هذا النحو تمكننا من الحصول على علاقات سببية بين عناصر النموذج المثالي .

وتواجه النماذج المثالية لفيبر بعض الصعوبات فمثلاً بالنسبة لتصنيف فيبر الرباعي للفعل الإجتماعي وحيث تستند كل فئة من فئات الأفعال الأربعة إلى شكل معين من التوجيه السلوكي فهناك فئتان من الأفعال تتميزان بالعقلية إحداهما تستخدم الوسائل الملائمة لتحقيق الأهداف العقلية المختارة، والثانية تستعين بوسائل مشابهة لإشباع قيم مطلقة وأهداف أخلاقية أما الفئتان الأخريان من الأفعال فهما فئة الفعل التقليدي وفئة الفعل الوجداني وهو هنا يطرح سؤال هو إذا كان النموذج المثالي يرتكز على أساس الفعل العقلي فكيف يمكن بعد ذلك إقامة نماذج مثالية للأفعال غير العقلية .

علم اجتماع السياسة والحكومة

كثير من الناس يحملون كلمة بيروقراطية عكس معناها حيث أن الناس تربط مفهوم البيروقراطية بمفهوم الروتين وإن كان الأمر في الأساس عكس ذلك تماماً حيث أن البروقراطية إنما تستهدف إلغاء الطابع الشخصي من حيث توزيع الأعمال أو طرق أدائها أو تقييم الأداء. وبمعنى آخر فإن البيروقراطية هي مجموعة النظم واللوائح التي تحدد السلوك التنظيمي كما يجب أن يكون إعتقاداً بأن هذا السلوك يمثل أفضل سلوك يمكن التنظيم من تحقيق أهدافه وإعتقاداً بأن هذه اللوائح هي ضمان لحماية التنظيم من الفساد والتسيب والإنحراف .

وبمعنى آخر فإن كلمة بيروقراطية تعني وببساطة البناء الاجتماعي المتسلسل لإدارة التنظيمات الضخمة بطريقة سليمة وبكفاءة وفعالية وبطريقة غير شخصية. وهو يشير إلى التغيرات التي تحدث في المنظمات الرسمية أو الأهلية بطريقة صحيحة لصنع القرارات لتحقيق الكفاءة والفعالية وتحقيق الأهداف. ونظراً للزيادة الكبيرة والتعقيدات في حجم المنظمات فإنها تكون في حاجة إلى تنسيق لتحقيق مزيد من الفاعلية والتي تصل إلى أقصى درجاتها عندما يكون هناك سيطرة تامة للإدارة والأدوار محددة وواضحة وكذا الحقوق والواجبات .

ويرى أن العالم القديم قد عرف البيروقراطية ويظهر ذلك بصورة جلية في مصر القديمة وبابل والصين والهند ومع تقدم المجتمعات وإزدياد حاجات البشر ظهرت الحاجة إلى وجود منظمات متخصصة ومع إزدياد التقدم ظهرت المنظمات كبيرة الحجم ومنها ظهر مفهوم البيروقراطية بمعناه العلمي والذي وضعه عالم الإجتماع المشهور ماكس فيبر .

فالبيروقراطية ترتبط بالمنظمات كبيرة الحجم وهذا المنظمات تتميز بتعقد المشاكل التنظيمية والإدارية التي تواجهها فمن ناحية نجد أن العمل مقسم إلى أجزاء صغيرة وأن العمل الواحد يقوم به مجموعة من الأفراد ومن ناحية أخرى يضم التنظيم مستويات إدارية متعددة تجعل عملية الإتصال رأسياً وأفقياً في منتهى الصعوبة .

ومن ناحية ثالثة فإن العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين لا تصبح علاقة شخصية ومباشرة بحيث تصعب عملية تقييم كفاءة المرؤوسين . وفي ظل هذا المناخ التنظيمي المعقد يصبح من الضروري وجود لوائح ونظم وقواعد تحكم عملية تحديد الخطوط الفاصلة بين مختلف التخصصات ضماناً لعدم حدوث التضارب والإحتكاك بين الوحدات التنظيمية ويصبح من الضروري أيضاً وجود مسالك محددة للإتصال الرسمي تحددها الإدارة العليا وبهذه الوسيلة تتجرد الوظائف من شتى المؤشرات الشخصية التي قد تؤثر في أداء شاغلها لها .

والبيروقراطية طبقاً للمعنى السابق ضرورة حيوية لجميع المنظمات كبيرة الحجم وإذا أمكن تحويل المثالية إلى واقع فإنه تصبح أفضل شكل تنظيمي ممكن ولكن الذي يحدث عادة هو التمادي في تطبيق اللوائح والتماسك الحرفي بها .ومع طول تعدد العاملين في هذا المناخ ومع صعوبة تعديل اللوائح بما يتمشى مع التغيرات والمؤشرات التي سيتعرض لها التنظيم يزحف مرض الجمود إلى السلوك التنظيمي وتصبح المبادرات الشخصية شيئاً نادراً أو مخالفاً للتعليمات واللوائح. ومن ثم تبدأ الآثار السلبية للبيروقراطية في الظهور .

ولو حاولنا تتبع النظريات الكبرى للبيروقراطية لوجدنا أن مفهوم البيروقراطية لم يكن يشغل مكاناً بارزاً في فكر ماركس . وإن كان هذا لا ينكر أن ماركس قد درس مفهوم البيروقراطية واستخدمه في نطاق محدد تمثل في دراسة لجهاز الدولة وإدارتها كما طور أفكاره عنها حينما كان بصدد نقد فلسفة هيجل في الدولة فالجهاز الإداري في رأي هيجل يحقق الصلة الدائمة بين الدولة والمجتمع حيث يعتبر التنظيم البيروقراطي هو القنطرة التي تربط بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة ويعتبر موقف ماركس من البيروقراطية وثيق الصلة بمعالجته لفكرة الإغتراب ذلك المفهوم الذي يشير إلى كافة الظروف والأوضاع التي تجعل البشر يبتعدون عن حياة البساطة الأولية بحيث ينفصل الإنسان عن بيئته الطبيعية التي تعد جزءاً منها وتنطبق فكرة الإغتراب تماماً على البيروقراطية من وجهة نظر ماركس حيث حققت البيروقراطية كياناً مستقلاً بعيداً عن سيطرة الإنسان ومحاولة فرض سيادتها عليه .

حيث يؤكد ماركس أن البيروقراطية كتنظيم تحطم كفاءة الفرد وتعوق قدرته على المبادأة والإبداع والتخيل وتحمل المسؤولية فماركس إعتبر البيروقراطية أداة الطبقة الرأسمالية لتدعيم مصالحها ولذلك فإن قيام ثورة البروليتاريا وظهور المجتمع اللاطبقي سوف يحكم جهاز الدولة البيروقراطية .

ويعتبر موقف لينين من البيروقراطية مشابهاً لموقف ماركس حيث إعتقد أن البيروقراطية ستشهد إنهياراً تدريجياً عندما تتأسس ديكتاتورية البروليتاريا لأن الصراع ضد البيروقراطية سيكون من المهام الرئيسية للثورة .

وتعتبر إسهامات ماكس فيبر في هذا المجال كبيرة حيث أنه إستطاع أن يصوغ نظرية محددة للبيروقراطية تعتبر من النظريات الكبرى حيث كان فيبر مهتماً في دراسته للبيروقراطية بتحليل التغير الذي طرأ على التنظيم الإجتماعي في المجتمع الحديث فضلاً عن توضيح الخصائص أو المقومات النموذجية للتنظيمات الرسمية التي أصبحت تمثل أكثر أشكال التنظيم شيوعاً في هذا المجتمع ولذا فإنه كتاباته تعتبر قاعدة لنوعين من الدراسات هي الدراسات التاريخية التي تتبع التحول الواضح نحو البيروقراطية والبحوث الإمبيريقية التي تناولت أبعاد التنظيمات وخصائصها البنائية .

وترتكز تحليلات فيبر للبيروقراطية على تصوره لطبيعة علاقات القوة في المجتمع كما إهتم بنموذج لعلاقة القوة وهو ما أطلق عليه مصطلح السلطة وهو علاقة القوة بين الحاكم والأفراد حيث أن ممارسة السلطة على أعداد من الأفراد

تقتضي وجود هيئة إدارية قادرة على تنفيذ الأوامر وتحقيق الصلة الدائمة بين الرؤساء والمرؤوسين وهكذا حاول فيبر أن يضح نماذج السلطة وفقاً لمعيارين هما : الإعتقاد في شرعية السلطة ووجود الجهاز الإداري الملائم .

ولقد ميز فيبر بين ثلاثة نماذج مثالية للسلطة تعتمد على تصورات مختلفة للشرعية هي :

-1السلطة الملهمة

-2السلطة التقليدية

-3السلطة القانونية

كما إهتم فيبر باستخدام مصطلح " التحول نحو البيروقراطية " إستخداماً واسعاً حيث أن هذا التحول مرتبط بظهور أنماط للسلوك والتفكير تشيع في كافة مجالات الحياة الإجتماعية نتيجة إنتشار النزعة العقلية ، تلك التي تشير إلى الإحاطة النظرية بأبعاد الواقع من خلال مفاهيم محددة ومجردة والتوجيه المنظم نحو تحقيق هدف أو غاية معينة بعد دراسة كافة الوسائل الممكنة والمفاضلة بينها .

ومن نتائج هذا التصور للعقلانية إزدهار العلم وإزدياد الإعتماد عليه كنسق فكري يوجه السلوك والعمل بدلاً من الإعتماد على التفسيرات والقيم والأفكار الغيبية والميتافيزيقية . فالفكرة المحورية وراء تحليله التاريخي تتمثل في الصراع بين الإلهام الذي يشير إلى إبتكار أو تجديد نتيجة قوى تلقائية تظهر في المجتمع وتتحكم في مساره وبين الروتين أو النظام الدقيق القائم على أسس معروفة وخطة محددة من قبل فليس من شك أن القيادة الملهمة قوة ثورية في العملية التاريخية .